مؤتمر اللغات الشرقية

وخطبة رئيسه الاستاذ مكس ملر

التأم مؤتمر علماء اللغات الشرقية في الخامس من شهر سبتمبر الماضي في مدرسة لندن الجامعة وحضره جمٌّ غفير من اقطار المسكونة ووقف فيه رئيسهُ الاستاذ مكس ملّر اللغوي الشهير خطبًا وتلا خطبة نفيسة استهلها بذكر الخلاف الذي وقع بين اعضاء هذا المؤتمر في الماضي ودعا الى انقسامهم قسمين وذكر بعض العلماء الذين منعتهم الكورنتينا عن حضور المؤتمر كالكونت لندبرج وغيره ثم قال

لقد جرت عادتنا عند التعبير عن امر بعيد جدًّا ان نقول انهُ بعيد كبعد المشرق عن المغرب. اما نحن المجتمعين ههنا فعرضنا تقريب المشرق منا مع ما يظهر من بعدهِ عنا وغرابتهِ لدينا بل تقريبهُ من افكارنا وقلوبنا. ووجود فاصل يفصل المشرق عن المغرب امرٌ من الغرابة بمكان عظيم ولا نعلم متى اقيم هذا الفاصل ولا ما اذا كانت لهُ اسباب طبيعيَّة دعت اليها فان الشمس تسير سيرًا متواصلاً من الشرق الى الغرب ولا فاصل في طريقها فما هو الداعي لفاصل فصل نوع الانسان ومنع سيرهُ الجيد من المشرق الى المغرب. ومعلوم ان هذا الفاصل وُجد حقيقة فيما يدعى بعصر التاريخ. ومن اعظم ما فعلهُ العلماء الباحثون في لغات المشرق وبقية اموره ان يبنوا بالدليل ان هذا الفاصل لم يوجد من البداءة وان اللغة كانت قبل عصر التاريخ رابطًا يربط اسلاف كثيرين من امم المشرق والمغرب. ثم ظهر من المكتشفات الحديثة انهُ في عصر التاريخ لم تكن اللغة فاصلاً بين اعظم الشعوب القديمة يمنع الاتصال في المتاجرة والمعاملة. وهذان الاكتشافان اي وجود العلاقة التامة قبل عصر التاريخ وبقاء جانب منها بعدهُ هما اعظم ما يُعنى بتحقيقهِ علماء اللغات الشرقية في هذا العصر. ولأكبر علمائنا اليد الطولى فيها ولذلك حسبت الكلام عليها حريًّا بان يفتتح بهِ هذا المؤتمر

البحث عما كان قبل عصر التاريخ

وانى افتتح المقال بالكلام عمَّا كان قبل عصر التاريخ. وقولنا قبل عصر التاريخ كلام مبهم غير محدود. فاذا كان التاريخ يبتدئ بالحوادث التي شاهدها اناس كتبوا عنها فكل الزمان الذي نتكلم عنهُ الآن وكثير من الزمان الذي بعدهُ يعدُّ قبل عصر التاريخ. واما اذا أُريد بالتاريخ تحقيق الحوادث وتمحيصها فالحوادث التي سنذكرها حقائق تاريخيَّة كوقائع وطرلو. وطالما ظن البعض ان علماء اللغات الشرقيَّة يقصرون بحثهم على الالفاظ المجرَّدة.

الاّ انافد علمنا الآن انهُ لا الفاظ مجرّدة بل لكل لفظة شأن كبير جدًّا في تاريخ نوع الانسان. وحتّى الآن اذا تكلّم العلماء عن اللغات نسوا غالبًا انهُ يراد باللغة الامة التي تتكلم تلك اللغة ويراد بالطائفة من اللغات طوائف من الناس متفرعين من اصل واحد او مرتبطين ارتباطًا واحدًا ومتعاضدين على دفع الضراء. اما البحث عن اصل اللغات واصل النطق بنوع عام فمن المسائل التي يتجنّب اللغويون البحث فيها لانها من مباحث الفلاسفة لا من مباحثهم. وكلما تعمّقنا في هذا الموضوع رأيناهُ يزيد غموضًا حتّى يصح قول من قال ان عقولنا لا تدرك البداءات لاننا لا نعلم بداءة شيء من الاشياء. ومسألة اصل اللغة او بعبارة اخرى اصل الفكر بعيد عن ادراكنا مثل مسألة اصل الكرة الارضية واصل الاحياء التي عليها واصل الزمان والمكان فان التاريخ يتعمّق في المسائل ولكن تعمقهُ فيها كتعمقنا في المناجم يبلغ حدًّا لا يتعدّاهُ قبل ان يصل الى اعمق طبقات الارض. وعلماء اللغات ولاسيما اللغات الشرقيّة قد حلّوا مسألة اصل الانواع في اللغات قبل ان حلّ داروين مسألة اصل الانواع في الاحياء بزمن طويل ولكنهم اضطروا ان يفرضوا وجود اصول اوليّة كما اضطر داروين ان يفرض وجود هذه الاصول في الاحياء. ولم يجسروا ان يتوغلوا الى اعمق الخفايا ويبحثوا عن كيفيّة الخلق او الابداع. ولم يذهب شغلهم عبثًا مع اضطرارهم الى التسليم بقصور معارفهم. فما من احد يستطيع ان يكتب بعد الآن تاريخ البشر بدون ان يتقدّم لهُ مقدمة يذكر فيها اتصال الآريين بالساميين في قديم الزمان وهذا الاتصال كان سابقًا لعصر التاريخ ولكنهُ في حقائقهِ تاريخي وهو في اعتبار علماء اللغات حقيقي مثل واقعة وطرلو وحوادثهُ اساس كل التواريخ الحديثة وقد حكمت على مصير الامم القديمة كما تحكم الجبال على مجاري الانهار.

نتائج الدرس الشرقي

ما قولكم في ان اسلاف الشعراء الذين نظموا القيدا (كتاب البراهمة) والانبياء الذين كتبوا الزندفستا (كتاب البوذيين) كانوا يصافحون اسلاف هوميروس ويعاشرونهم بل كانوا يصافحون ويعاشرون اسلافنا في اللغة. إعتبروا ذلك وانظروا ما اغرب النتيجة التي وصل اليها علماء اللغات الشرقيّة في تاريخ البشر فانهم اكتشفوا اثن الآثار واعظمها ألا وهي الالفاظ التي كانت مستعملة قبل انفصال الآريين والساميين الآثار التي هي اقدم من صفائح بابل ودروج مصر — آثار ما كانوا يشتركون فيهِ من الافكار والاديان والاحكام والاقوال

واذا التفتنا الى بحث آخر من مباحث علماء اللغات الشرقيّة التي جاءت بنتائج عظيمة لعلماء التاريخ وللناس اجمع رأينا ان علماء اللغات الشرقيّة لم يوجدوا تاريخًا جديدًا لم يكن لهُ

وجود كما اوجدوا تاريخ الآريين والساميين قبل انفصالهم بل احيوا اقدم عصر في تاريخ الحضارة انظروا الى مصر القديمة وماذا كنا نعلم من امرها منذ مئة عام . فانها كانت كصنم مصري طمرته رمال الصحراء ولم تبقِ له صورةً معروفة . والآن قد صرنا نقرأ القلم المصري القديم ونعرف اسماء الملوك الذين حكموا مصر قبل المسيح باربعة او خمسة آلاف سنة . ونعرف معبوداتهم وعباداتهم وشرائعهم واشعارهم وتقاليدهم وقصصهم وصلواتهم وما فيها من الخشوع والنقوى . وهنا نرى الفطرة البشريّة مكشوفة للعيان . وصلوات البابليين اكثر تصنّعًا من صلوات المصريين ولكنها تدلُّ على فطرة الانسان اكثر من كل ما في خرائب بابل ونينوى من القصور والهياكل . واذا التفتنا الى الهند رأينا انها كانت لدى علماء القرن الماضي اسمًا فقط اما الآن فلم نعد ننظر الى سكانها الاقدمين كسود او عبدة اصنام بل صرنا نعلم انهم اخوة لنا في اللغة والافكار . وقد أظهر لنا الفيدا (كتاب البراهمة) احوال الديانة الطبيعيّة الاولى وسلَّم الينا المفتاح الذي نحلُّ به غوامض الاقاصيص الآرية ولا اتردَّد عن القول باننا سنستفيد من هذه المسائل ونحوها اكثر مما استفدنا حتَّى في احبّ الامور الينا

الاتصال بين الامم القديمة

قد كنا نظن ان كل مملكة من ممالك المشرق القديمة كانت مستقلّة عن غيرها واذا رأينا بينها شيئًا من الاشتراك في العقائد والآراء والعوائد حكمنا انها لم تقتبس ذلك بعضها من بعض لعدم اتصالها باللغة اما الآن فقد تغيّر ذلك كلهُ . ومن اقوى الادلة على اتصال الامم الآرية بالامم السامية اخذ اليونانيين لحروف الهجاء من الفينيقيين . ولم ينكر اليونانيون ذلك بل جاهروا به واقرُّوا ان الفينيقيين علموهم الهجاء وسمَّوا حروفهم فينيقية كما نسمي نحن صور ارقامنا العددية عربيّة والعرب يسمون ارقامهم هندية . وحسبنا حروف الهجاء دليلاً محسوسًا على وجود الاتصال الحقيقي بين زعماء الارتقاء والعمران في المشرق وزعمائها في المغرب اي بين الفينيقيين واليونانيين والشعب الاول سامي والثاني آري . واسم الحرف الاول في اليونانية ادلُّ على تأثير الفينيقيين من كل القصص التي تُروَى عن قدموس وطيبة وهرقل وافروديتي . ولا يتعذَّر علينا الآن ان نعلم ما اقتبسهُ اليونانيون من الفينيقيين في الديانة والعقائد بعد ان اكتشفنا دعائم الاتصال بينهما . وقد ظهر من المكتشفات الحديثة ان الفينيقيين لم يكونوا اول من اكتشف حروف الهجاء مع انهم اكتشفوا امورًا كثيرة بل ان المكتشف لها اقدم مصر على ما ذهب اليهِ الفيكونت ده روجه . وذهب غيرهُ الى ان الحروف الصينيَّة اصلها بابلي والحروف البابليَّة نفسها لم يستنبطها الساميون سكان بابل واشور بل

شعب آخر كان يسكن في الجهات الشمالية الشرقية . ولم تقم الادلة الكافية حتى الآن على تحقيق ذلك ولكن قد ثبت من البحث ان الكتابة البابلية او السمهية كانت منتشرة في العراق وفارس وارمينية واستعملها المتكلمون باللغات الآرية وغير الآرية دلالة على شدة الاتصال بين تلك الامم التي كنا نحسبها منفصلة تمام الانفصال

مصر وبابل

كان يظن ان مصر وبابل كانتا دائمًا منفصلتين اتم الانفصال لغةً وكتابةً ولم يكن بينهما اتصال الاَّ بادوات الحرب والهلاك اي بالرماح والنبي . ولم يخطر على بال احد ان الكتابات السمهية التي وُجدت على الاساطين البابلية وتجشم علماؤنا في قراءتها وحل رموزها عرق القربة كان كتبة مصر وعلماؤها يقرأونها بالسهولة التامة قبل المسيح بالف وخمس مئة عام . وقد رأينا في الصفائح التي وُجدت في تل العمرنة مكاتبات سياسية بين مصر وبابل وسورية وفلسطين كتبت قبلما غزا الفرس بلاد اليونان باكثر من الف عام وقد كتب المصريون خلاصتها بالقلم المصري كما تفعل نظارة خارجيتنا بالمكاتبات الاجنبية . وقد استدللنا من هذه المكاتبات على الروابط السياسية التي كانت بين ملوك مصر وملوك غربي اسيا ومصاهرتهم السياسية والمعاملات التجارية التي كانت جارية بين البلادين . وهذه الصفائح مكتوبة بلغة اشورية وفيها تفسير بعض الكلمات بلغة كنعانية تقرب من اللغة العبرانية . ومما هو من الغرابة بمكان ان ملك مصر امنوفس الثالث استعمل اللغة الاشورية والكتابة الاشورية في مكاتبته احد ملوك آسيا . وفي هذه الصفائح ايضًا اسماء بعض المدن وهي مماثلة لاسمائها المعروفة الآن كمصريم لمصر وصوري لصور وصيدونا لصيدا وجبلي لجبيل وبيروتا لبيروت وبُو لياف او لورشليم لاورشليم . ولا بد من ان اورشليم كانت معروفة بهذا الاسم قبلما امتلك بنو اسرائيل ارض كنعان . وبعض هذه الصفائح في دار التحف البريطانية وبعضها في دار التحف ببرلين والبعض الآخر في دار التحف المصرية في الجيزة . وقد قرئت صفائح دار التحف البريطانية وترجمت واستدللنا منها على شدة الاتصال بين غربي آسيا وبلاد مصر علمًا وادبًا . ومن ثم سهل علينا ان نفهم كيف انتقل الصناع الى مصر من آسيا وقبرس وميسينا وكيف كانت تلك الامم متصلة مع اختلافها في اللغة

وقد تأيدت رواية صفائح تل العمرنة بصفائح وجدت في تل الحسي المظنون انه مكان مدينة لخيش القديمة فقد وجدت فيها رسالة مرسلة الى زمريدا وهذا الرجل مذكور في صفائح تل العمرنة انه والي لخيش ووجد في هذا المكان اساطين بابلية صنعت بين سنة ٣٠٠٠

و٥٠٠ قبل المسيح وتكثر هذه الاساطين في سورية وقبرس

ويجب ان لا ننسى اليهود الذين كانوا من اشد اسباب الاتصال بين ممالك اسيا فانهم خرجوا من بلاد الكلدان ورحلوا الى كنعان ثم تغربوا في مصر قبلما استوطنوا فلسطين ثم جُلوا الى مادي وفارس و بابل واشور وكانوا اهل مجاملة فسموا قورش مسيح الرب وهو من عباد هرمزد لانهُ سمح لهم بالعودة الى اورشليم وحسبوا داريوس منقذًا لهم وهو من اتباع زروستر لانهُ رضي ببناء هيكلهم فهذه الامَّة كانت صلة بين الممالك القديمة وواسطة الاتصال العقلي والادبي

الصين والهند

لم يُكشَف لنا حتَّى الآن ان الصين والهند كانتا متصلتين ببلاد اخرى في الاعصر الغابرة التي اشرنا اليها ولا نعلم حقيقة ان بلاد الهند اتصلت بغيرها من ممالك غربي اسيا الاَّ قبيل غزوة الاسكندر المكدوني او في ايام داريوس الذي غزا بلاد الهند . ولا يبعد ان يكون الهنود قد تعلموا الكتابة والقراءة من الماديين . وقد رأى كتزياس وفود الهنود في بلاط ملك فارس في اوائل القرن الخامس قبل المسيح . وحروف الهجاء المستعملة في لغات الهند مشتقة من الحروف الساميَّة

ديانة بوذه

ما من احدٍ من العلماء الثقات يقول الآن بان ديانة بوذه اقتبست شيئًا من الاديان الاخرى بل هي ابنة الديانة البرهميَّة وتفوق امها جمالاً من وجوه كثيرة و بواسطتها خرجت بلاد الهند من خدر اعتزالها ودخلت ميدان التاريخ . وقد اجتمع مجمع من زعماء هذه الديانة في القرن الثالث قبل المسيح عند ملكهم اسوكا ونظروا في امر جديد لم يخطر على بال احدٍ قبلهم وهو ان يفتحوا المسكونة لا بالسيف ولا بالرمح بل بقوة الحق فاقرُّوا هذا الامر واجمعوا على ارسال الدعاة الى الامم المجاورة يدعونهم الى التديُّن بالديانة البوذيَّة . ولم يكن هذا الامر ليخطر على بال المصريين والبابليين والاشوريين ولا على بال البراهمة ولا بدَّ من ان الذين اقرُّوا عليهِ كانوا ينظرون الى البشر كامَّة واحدة ولو اختلفوا لغةً وديانةً ولونًا واخلاقًا . ولم يمضِ وقت طويل حتَّى وصل دعاة الدين البوذي الى بلاد الصين وفي سنة ٦١ قبل المسيح جعلت الديانة البوذيَّة من اديان مملكة الصين الثلاثة وذهب دعاة الدين البوذي من كشمير الى بلخ (بكتريا) وقد ذكرهم اسكندر بوليهستور الذي كتب بين سنة ٨٠ و٦٠ قبل المسيح ثم ذكرهم اكليمندس الاسكندري وقال انهم فلاسفة عظام . وذكرهم يوسيبيوس في مستهلّ القرن الرابع للمسيح وسماهم براهمة وهو يريد البوذيين لانهُ قال انهم في بلخ والبراهمة انفسهم لم يخرجوا من بلاد الهند ولكن البوذيين كانوا يطلقون على انفسهم اسم البراهمة . وقد

وُجدت آثار الديانة البوذية شمالي بلخ حتى كشغر واثبت المسيو درمستتر ان دعاة الدين البوذي دخلوا بلاد الفرس و بلغوا اقصاها من جهة الغرب

الرواية المثلثة

وكأنّ تاريخ البشر رواية فيها ثلاثة فصول اولها ينبئ عن الساميين والآريين قبل انفصالهما وتفرقهما . والثاني عن الحروب التي نشبت في الممالك الشرقية القديمة اي مصر و بابل وسورية وسير العمران سيرًا حثيثًا من المشرق الى المغرب الى شواطئ بحر الروم وجزائره و بلاد اليونان . وثالثها عن سير الاسكندر من اوربا الى بلادفارس مارًّا بفينيقية وفلسطين ومصر و بابل ومن ثمّ الى بلاد الهند اي بكل ممالك الشرق القديمة وهو اول من حاول ضم الغرب الى الشرق بعد انفصالهما وجعلهما مملكة واحدة وليس ذلك بمستبعد من تلميذ الفيلسوف ارسطاطاليس . ولم ينز الاسكندر بكل ما تمناهُ ولكنهُ فاز ببعضهِ وأفرغت حكمة المشرق في خزانة واحدة فبزغت الاشعة من منارة الاسكندرية و بلغت اقصى غياض الهند ورنّت اسماء حكماء الهند في مكتبة الاسكندرية حتى بحث اكليمندس الاسكندري الذي نشأ في القرن الثاني للمسيح عمّا اذا كان بوذه يستحق العبادة كالهُ . وصارت الاسكندرية مركز العلم والحكمة وامتزجت فيها اعظم اشواق الساميين باقدس عقائد اليهود واسمى تعاليل الآريين كما هي موضحة في الفلسفة الافلاطونية القديمة والحديثة ومن ثمّ صارت الاسكندرية مهدًا لديانة المحبة التي أريد بها ان تضم جميع طوائف الناس شرقًا وغربًا وتجعلهم عائلة واحدة

وقد اردت في ما قلتهُ الى الآن ان اوضح لكم ما اظهرهُ علماء اللغات الشرقية من تاريخ تقدم الانسان الذي ابتدأ من اسيا وانتهى في اوربا التي هي شبه جزيرة منها بل انتهى الى هذه البلاد التي نحن فيها مجتمعون والتي قد دُعيت مركز المسكونة ويحق لها ان تدعى كذلك . ولعلماء اللغات الشرقية الفضل في انارة ظلمة التاريخ القديم وفي اظهار ما كان من الاتصال بين الشرق والغرب . وكل اكتشاف في مكاتب بابل ومدافن مصر ودفاتر الفرس والهنود يزيد هذا النور اشراقًا ويدلّ على ان نوع الانسان خاضع لنواميس او لمقاصد سامية وهي الفاعلة في تاريخهِ من اولهِ الى آخرهِ

ودرس اللغات الشرقية لا يقتصر على الذين اختصوا لهُ بل يعتمد عليهِ كل الذين يرون في تاريخ نوع الانسان اسمى مسألة بين المسائل الفلسفية — المسألة التي سينظر فيها في مستقبل الايام بواسطة الادلّة التاريخية لا بالبداهة والحدس . وعلم اللغات وعلم العقائد وعلم الاديان وعلم الفكر كل هذه العلوم قد تردّت بحلّة جديدة بواسطة ما اكتشفهُ علماء اللغات

الشرقية الذين احلوا الحقائق محل الظنون وارونا ان تاريخ ارتقاء الانسان يستحق ان يكون نداً لتاريخ ارتقاء الانواع الذي اوضحه الشهير دارون

نتائج درس اللغات الشرقية

ولكن هل تقتصر الفائدة من درس اللغات الشرقية على معرفة تاريخ الامم الشرقية والغربية في الازمنة الغابرة أو ليس منه فائدة في الحال والاستقبال . وعلى مَ انضمّ الى هذا المؤتمر كثيرون من حكام البلاد الشرقية وساستها والمشهورين في المعاملة معها اذا كانوا لا يتوقعون فائدة من درس اللغات الشرقية غير ما تقدّم . فاننا قد ورثنا شيئاً من الاثرة التي تحمل الآري على ان يعتصب ضد السامي واليوناني ضد البربري والابيض ضد الاسود ولكن درس اللغات الشرقية كان اقوى مساعد على نزع هذا التعصّب او تلطيفه على الاقل وقد صارت انكلترا اعظم سلطنة شرقية واثبتت انها تعرف كيف تتسلط على الممالك وكيف تسوسها . ومن اغرب الغرائب ان ترى بضعة الوف من الانكليز يسوسون ملايين من الناس في الهند وافريقية واميركا واستراليا . وقد حققت انكلترا امالي الاسكندر المكدوني بضم الامم تحت لوائها . ولكن التسلّط على الامم الشرقية امرٌ والاتفاق معها امرٌ آخر وهذا الاتفاق لا يتم الاّ بمعرفة لغاتها وآدابها اي بتعلّم اللغات الشرقية ومحبة الشرق . ولم تعمل انكلترا الاّ قليلاً ممّا يطلب منها من هذا القبيل لان بلاد سكوتيا وهي اقل سكاناً من مدينة لندن تنفق على درس اللغات والاداب الشرقية اكثر من مملكة انكلترا . ومن المؤكد انه اذا اريد اكتشاف المكتشفات عظيمة كان علماء انكلترا في مقدمة المكتشفين وهم الذين يمهدون السُبل لغيرهم ولكن حكومتنا لم تزل دون حكومة الروسيين والفرنسويين والايطاليين والجرمانيين في الانفاق على تعليم اللغات الشرقية وقد خطونا خطوة في هذا السبيل منذ عهد حديث بمؤازرة ولي العهد فانشأنا مدرسة لتعليم العلوم الشرقية وحققنا بذلك امنية نبّهتها منذ اربعين سنة . ولكننا نحتاج الى اموال كثيرة اذا اردنا ان ننجح هذا العمل . ولو رأى الجمهور مقدار النفع الذي ينتفع به تجارنا من وجود غلمان يعرفون لغات المشرق ويجولون فيه يعرضون بضائعهم ويكاتبون اهله بلسانهم لتبرّع التجار بالاموال التي نطلبها الآن من الامة

وهناك امرٌ آخر اعظم شأناً من تجارة انكلترا وهو ان الولاة الذين نرسلهم الى بلدان المشرق يجب يعرفوا لغات الناس الذين يسوسونهم لكي يستطيعوا ان يعيشوا معهم على اتم الوئام . ولقد احسن احد امرائنا بتعلمه اللغة الهندستانية لكي يمكنه التكلّم مع الجنود الذين تحت امره . ولا يخفى ان ملكتنا نفسها سلطانة الهند قد خصصت جانباً من وقتها

الثمين بدرس لغة الهند وآدابها وحسبنا ذلك قدوةً . ولا يمكن الوئام التام بين الحاكم والمحكوم ما لم يكن احدهما عارفًا بلغة الآخر . ولقد قبلتُ رئاسة هذا المؤتمر على امل انهُ يزيد الرغبة في درس اللغات الشرقيَّة في انكلترا ولكن هذه الرغبة يجب ان لاتكون كسحابة صيف بل ان تثبت بانشاء مجمع لترقية تعلم اللغات الشرقيَّة ويكون مقرُّ هذا المجمع في المدرسة الامبراطورية . فاذا تعاون اعضاء هذا المؤتمر واصدقاؤهم على اتمام ذلك فيكونون قد تركوا في تاريخ هذه السلطنة الشرقيَّة العظيمة اثرًا يذكر على ممر الازمان واشعرُ حينئذٍ مع ما لي من القصور انني لم اكن غير حقيق بالثقة التي وثقتها بي اصدقائي ورصفائي حينما انتخبوني لرئاسة هذا المؤتمر

مستقبل المشرق

لو تفحصنا نوادي اوربا ناديًا ناديًا واستجلينا سرائر عظمائها واحدًا واحدًا ما وجدنا بينهم اكثر اخلاصًا واوفر نفعًا واقل ضررًا من رجال العلم ولا سيما الذين وخطهم الشيب وتملكت منهم الفضائل . واكثرهم حبًّا للمشرق وبنيهِ هم الذين فضوا العمر في درس لغاتهِ والبحث في تاريخ شعوبهِ وزعمهم في ذلك كلهِ الشيخ الجليل الذائع الصيت في المشرق والمغرب الاستاذ مكس ملر اللغوي الشهير . وقد قام بالامس خطيبًا في مؤتمر ضمَّ الجمَّ الغفير من علماء المشرق والمغرب وعظمائها فادرجنا خطبتهُ بتمامها هنا ولم نحذف منها الاَّ فقرات قليلة دعا الى حذفها ضيق المقام . وقد اودع هذه الخطبة زبدة الفوائد العلميَّة والادبيَّة التي نتجت من درس الاوربيين للغات الشرقية ومن بحثهم في آثار اهلها وكنا نودُّ ان يكون للشرقيين انفسهم يد في هذا الدرس وهذا البحث ومأثرة تناخر بها امم المغرب ولكننا اذا استثنينا هرمزد رسَّام الشهير اضطررنا ان نعزو كل الفخر لعلماء المغرب . وليس هذا بالموضوع الذي نسوق اليهِ الكلام في هذه العجالة وانما يهمنا من خطبة الاستاذ مكس ملر ختامها ومغزاها فانهُ حثَّ ابناء بلادهِ على تعلُّم اللغات الشرقيَّة لكي يتمكنوا من التسلُّط على امم المشرق ومن توسيع تجارتهم فيهِ ولا بي عليهِ فضل نفسهِ وبل مقاصدهِ الاَّ ان يذكر ما يأول اليهِ هذا التعلُّم من رفع قدر المشارقة في عيون اهل المغرب وحسبانهم اخوة لهم . ونحن نرفع له لواء الشكر على هذا المقصد النبيل ولكننا لا نرى لنا بدًّا من الانتباه الى الغايتين المتقدمتين لا سيما وانهما اساس السياسة الاوربيَّة . فان لم ينتبه المشارقة الى انفسهم ويسعوا هم ايضًا في الذود عن حوضهم وفي مباراة الاوربيين جرفهم تيَّار الاوربيين او تركهم خدَّامًا مستضعفين . ولا معتمد للمشرق الاَّ همَّة بنيهِ